

المحاضرة الاولى في العقيدة: الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 5-7-2018

بشرح فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور/ طلعت زهران- حفظه الله
الدورة النسائية -مصر- الاسكندرية - العصافرة - جامع الامام مسلم

ثلاثة الأصول

الأصل في اللغة ما يُبنى عليه غيره، وفي الاصطلاح: ما له فرعٌ.

الأصل الأول: معرفة الله.

الأصل الثاني: معرفة الدين ومراتبه الثلاث.

والأصل الثالث: معرفة النبي - صلى الله عليه وسلم - وشيئ من سيرته باختصار شديد.

بسم الله الرحمن الرحيم

البداة بالبسملة للتبرك والاستعانة على ما يهتم به.

قال الحافظ بن حجر، رحمه الله تعالى: وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالتسمية، وكذا معظم كتب الرسائل، فقد كان من عادة النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أرسل رسالةً إلى ملكٍ من الملوك أو نحوه افتتحها بـ "بسم الله الرحمن الرحيم".

اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

(اعْلَمْ) أمر بتحصيل العلم، لكي ينتبه السامع أو الطالب إلى ما بعده (رَحِمَكَ اللَّهُ) هذا من عادة المصنف، رحمه الله تعالى، أن يأتي بمثل هذه العبارات التي فيها دعاء للطالب أو للقارئ، وهذا فيه تلطف من المصنف، وتنبيه إلى أن مبنى العلم هو التلطف والرحمة بالمتعلم.

وهذه الجملة (رَحِمَكَ اللَّهُ) فعل وفاعل ومفعول به يعني: غفر اللهم لك ما مضى من ذنوبك ووفقك وعصمك فيما يُستقبل.

(أَنَّهُ يَجِبُ)، والواجب في الاصطلاح: هو ما طلب الشارع فعله طلباً جازماً.

(عَلَيْنَا): ليس خاصاً بالمسلم بل يشمل الكفار كذلك.

(تَعْلَمُ أَرْبَعَ مَسَائِلَ)

الأولى: العلم.

(وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ). العلم مُرَادٌّ به هنا العلم الشرعي، يعني علم الكتاب والسنة.

والعلم هو معرفة الهدى بدليله وهو قسمان:

فرض عين.

وفرض كفاية.

وفروض العين من العلم الشرعي كأصول الإيمان، وشرائع الإسلام، وما يجب اجتنابه من المحرمات، وما يحتاج إليه في المعاملات، ونحو ذلك مما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب عليه العلم به، فمن تاجر بالذهب والفضة وجب عليه أن يعرف أحكام الربا بخلاف من لم يتاجر، من كان عنده مال وحال عليه الحول وبلغ النصاب حينئذٍ يجب عليه أن يتعلم أحكام الزكاة

بخلاف فرض الكفاية فإن فعله البعض حينئذٍ سقط عن الآخرين.

قال الإمام أحمد: يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه. قيل له مثل أي شيء؟ قال: الذي لا يسعه جهله، صلاته وصيامه .. ونحو ذلك. يعني الأركان أركان الإيمان الست، وكذلك أركان الإسلام، أو ما بُني عليه الإسلام.

(الْعِلْمُ) (وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ)

فهو علم خاص ولا يعني به جميع العلم الشرعي لأنه عَرَفَهُ فقال:

(وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ) واضح أن المصنف يرى أن العلم والمعرفة بمعنى واحد، وهذا هو الصحيح عند أهل اللغة وإن فَرَّقَ بينهما بعض المتأخرين. قال الله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: 146] فالأول قال: يعرفون ثم قال: {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} فأخبر عن المعرفة بالعلم، فدل على أنهما بمعنى واحد.

والله طالبنا بالعلم بالله سبحانه وتعالى، أي بذاته وأسمائه وصفاته والتعبد له. فقال: فاعلم أنه لا إله إلا الله. وأما مجرد معرفة إبليس يعرف ربه ولكن هذه المعرفة ليست كافية، لماذا؟ لتخلف المقتضى وهو العمل بمدلولها.

فالمعرفة التي هي العلم تستلزم قبول ما شرعه والإذعان والانقياد له وتحكيم شريعته التي جاء بها رسوله محمد، صلى الله عليه وسلم.

(وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ) هذا من العلم العيني

(نَبِيِّهِ) ولم يقل رسوله لأنهما مترادفان في هذا الموضع، وإن كان المشهور عند أهل العلم أن النبي أعم من الرسول، فكل رسول نبي من غير عكس، والمراد به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم.

ومعرفته فرض عين على كل مكلف، معرفة تستلزم قبول ما جاء به من الشرع والحكم بشرعه والتحاكم إليه. قال الله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 65]، وقال تعالى: {إِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 59] فأوجب طاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - طاعة مطلقة لأنها تابعة لطاعة الله عز وجل، فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله، وأما من ادعى محبة الرب جل وعلا ومعرفته ولم يطع رسوله حينئذ تكون معرفة ومحبة ناقصة أو معدومة.

ثم قال: (وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ)

يتضمن الخضوع والذل، وهنا بمعنى العبادة، والخضوع لله تعالى، وبمعنى طاعة الرب جل وعلا.

وهذه الثلاث متلازمة لأنه إذا ادعى وجود معرفة الله ولم يعرف نبيه ولا دينه الإسلام انتقضت المعرفة الأولى، وإذا ادعى معرفة الله ومعرفة نبيه ولم يعرف دين الإسلام حينئذ انتقضت تلك المعرفتتان.

والإسلام له إطلاقان [الشريعة]:

إسلام عام.

وإسلام خاص.

والإسلام العام المراد به عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وهذه عامة في كل زمن وفي كل مكان، في كل زمان وفي كل مكان، وهي ليست خاصة بنبي دون نبي، ولا رسول دون رسول، ولا قوم دون قوم. بل ما خلق الله عز وجل الجن والإنس إلا من أجل تحقيق عبادة الله وحده لا شريك له، فمنذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كلهم من الأنبياء والمرسلين يدعون إلى الإسلام بالمعنى العام، وقد جاءت آيات يُفسر فيها الإسلام

بهذا المعنى، كقول الرب جل وعلا عن إبراهيم {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ} [البقرة: 128] {مُسْلِمَيْنِ لَكَ} المراد به الإسلام العام {يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا} [المائدة: 44] المراد به الإسلام العام، وقال موسى لقومه: {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} [يونس: 84] المراد به الإسلام العام.

وأما الإسلام الخاص المراد به ما بَعَثَ الله به نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، مما اشترك مع من سبق وانفرد وزاد به نبينا - صلى الله عليه وسلم - خاصة. وإما القدر المشترك بين الأنبياء فهو الدعوة إلى توحيد الرب جل وعلا والتحذير من الشرك به {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25]، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36] هذه دعوة عامة وهو الإسلام العام، ولا يختص بها نبي دون نبي، ولا رسول دون رسول، فهي عامة.

(بِالْأَدِلَّةِ) متعلق بقوله: (وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ) دين الإسلام منه ما هو أصول ومنه ما هو فروع، وأصول الدين نوعان: النوع الأول: ما يَحْصُلُ به الإسلام ويُحْكَم على فاعله بالتوحيد ويخرجه من الشرك. والنوع الثاني: أصول الدين كلها.

فالأصول مطلقاً الصحيح أنه يجوز تعلمها ومعرفتها بدون دليل شرعي، يعني: يجوز فيها التقليد على الصحيح، وهذا هو الصواب أنه لا يجب معرفة أصول الدين مطلقاً بالأدلة بل هو جائز قال الله: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا {النحل: 43، 44} فسرهما ابن عباس قال: هنا الحجج والدلائل {إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} * بِالْبَيِّنَاتِ {إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} قال: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ} هنا أمر بالسؤال مطلقاً يعني: يشمل الأصول ويشمل الفروع. أحال الله عز وجل الجاهل وأمره بسؤال العالم مطلقاً سواء كان يجهل الأصول أو كان يجهل الفروع، فحينئذ لا يشترط في معرفة العقائد أنه لا بد من دليل شرعي بمعنى إذا عرف الله تعالى بأنواع التوحيد الثلاثة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والأسماء والصفات، وعرف كل نوع منها هل يشترط أن يذكر له الدليل أو يكفي أن يعرف أن التوحيد ثلاثة أنواع، والصحيح أنه يجوز التقليد في باب المعتقد.

وهذا إسلام صحيح وهو مجمع عليه بين الصحابة. رضي الله تعالى عنهم، لما فتحو الفتوحات ودخل الناس في دين الله أفواجًا لم يكونوا يطلبون الأدلة وإنما طلبوا منهم قول لا إله إلا الله دون أن يذكروا لهم الأدلة.

الثانية: العمل به.

يعني بهذا العلم، والعمل ثمرة العلم، فمن عمل بلا علم فقد شابه النصارى، ومن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود.

والنصوص الشرعية في الكتاب والسنة وردت في وجوب إتباع العلم بالعمل، لأن العلم منه ما هو واجب، ومنه ما هو مستحب، والعمل بالعلم الواجب واجب، والعمل بالعلم المستحب مستحب.

وورد الوعيد الشديد لتارك العمل بما علم، ولذلك جاء في الحديث «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع» وذكر منها عن علمه ماذا عمل به؟ قال الفضيل بن عياض رحمه الله: لا يزال العالم جاهلاً حتى يعمل بعلمه، لا يزال العالم يعني: العالم الذي يحفظ المسائل فقط ولو بأدلتها، لا يزال العالم جاهلاً حتى يعمل بعلمه، فإذا عمل به صار عالماً لأنه لا بد من إتباع العلم بالعمل، وهذا هو الضابط في معرفة العلم النافع، قد يستشكل البعض أنه يطلب العلم ولا يدرى هل هذا علمه نافع أم لا؟ لأنه ليس كل من حفظ القرآن وحفظ السنة وتعلم منهما ما تعلم أن يكون علمه نافعاً، بل قد يكون حجة عليه وإنما يكون نافعاً إذا أتبعه بالعمل، حينئذ يعرف من نفسه أنه ما علم مسألة إلا وقد عمل بها. ولذلك بعض من طلبه العلم قد تكون عنده همة في معرفة وحفظ العلم الشرعي ولا تكون عنده همة في العمل بذلك العلم، وهذا على خطر.

وجاء في أثر: "من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، ومن لم يعمل بما علم أوشك الله أن يسلبه ما علم" (ضعيف). لكنه من جهة المعنى والواقع له حظ من الصحة.

الثالثة: الدعوة إليه.

فإذا أكمل العبد قوتين، القوة العلمية والقوة العملية وجب عليه أن يكمل، قالنجاة لا تكمل إلا بالدعوة إلى الله تعالى، وهي طريق الرسل وأتباعهم، فالعلم الواجب الدعوة إليه واجبة، والعلم المستحب الدعوة إليه مستحبة، وما كان محرماً فالدعوة إلى تركه واجبة.

وأما الجاهل فتحرم عليه الدعوة، ولو دعا إلى ما لم يعلمه فقد ارتكب محرماً، ووقع في الافتراء والقول على الله عز وجل بلا علم.

الدليل على وجوب الدعوة حديث معاذ «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُهُمْ» الحديث. كذلك حديث علي «انفذ على رسلك ثم ادعهم». ولذلك قال الله عز وجل لنبيه {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ} [النحل: 125].

وهذه الدعوة لها طريق: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: 108] وهذا يدل على أن الدعوة عبادة، الصلاة عبادة، وإذا قيل بأن الصلاة عبادة حينئذ لا تصح الصلاة ولا تقبل الصلاة إلا بتحقيق شرطين:

الأول: الإخلاص لله عز وجل.

والثاني: المتابعة للنبي - صلى الله عليه وسلم -.

فدعوة بلا إخلاص: شرك. ودعوة دون متابعة بدعة، فليس كل من دعا إلى الله تعالى يكون على حق ويكون على سنة ومتابعة.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

يعني في الدعوة إلى العلم، لأن من قام بدين الإسلام ودعا الناس إليه فقد قام مقام الرسل، والعلماء ورثة الأنبياء فقد أوجب الله تعالى عليهم الدعوة، ولا بد أن يصيبهم ما أصاب الأنبياء من قبل، وقد قصد أن يقف بين الناس وشهواتهم وأهوائهم واعتقاداتهم الباطلة، فلا بد أن يقع له شيء من الأذى كما أؤذي الرسل، حينئذ يتعين عليه الصبر لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولا تتم الدعوة الواجبة إلا مع الأذى، سنة الله عز وجل في خلقه، فإذا أؤذي الأنبياء والمرسلون بل أفضل الخلق نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فمن دونه من باب أولى وأحرى، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} [الأنعام: 34]

والصبر في اللغة هو الحبس والمنع، واصطلاحاً حبس النفس عن التسخط، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود .. ونحو ذلك.

والصبر نوعان:

صبر واجب.

وصبر مستحب.

الصبر على الفرائض، والصبر عن المحرمات. والصبر على البلياء والمصائب النازلة بالعبد. فهذه أمور ثلاثة واجبة مطلقاً على كل مكلف ومكلفة.

الصبر على الفرائض الواجبات أداؤها يحتاج إلى صبر، الصلوات الخمس، وصوم رمضان، والزكاة تحتاج إلى صبر فالشحيح يحتاج إن يصبر، كذلك الحج يحتاج إلى صبر، وكذلك الصبر عن المحرمات، وخاصة إذا تعلقت بها النفس ثم البلياء والمصائب النازلة بالعبد. فهذه أمور ثلاثة الصبر عليها واجب.

فالصبر على المستحبات مستحب، والصبر على المكروهات مستحب، والصبر على الأذى، سواء كان بالقول أو كان بالفعل، يعني يشمل الأذى البدني ويشمل الأذى المالي والأذى النفسي، الصبر على الأذى فيه. فإن من لم يصبر كان من الذين يستخفهم الذين لا يوقنون، قال الله عز وجل: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} [الروم: 60] وقد حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه من العجلة قال: «ولكنكم قوم تستعجلون»

ولذلك أمر الله نبيه بأن يصبر كما قال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَؤُا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: 35].

والدليل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم {وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ} 1.

وهذا الإيمان يشمل النوعين الإيمان الواجب والإيمان المستحب، {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} يشمل العمل الواجب والعمل المستحب، {وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ} يعني دعوا إلى الله تعالى، ويشمل النوعين الواجب والمستحب، {وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ} والصحيح المراد به الدهر كله. وهو العشي والليل والنهار، الزمان كله. والسر في القسم بالعصر كما قال القرطبي رحمه الله تعالى لما فيه من التنبيه: لتصرف الأحوال وتبدلها وما فيها من الدلالة على الصانع. وأيضاً هو زمن تحصيل الأرباح والأعمال الصالحة للمؤمنين وزمن الشقاء للمعرضين. يعني محل الحوادث وهذا يدل على أنه شيء عظيم؛ لأن الله تعالى له أن يقسم بما شاء. ثم إذا أقسم بشيء من مخلوقاته دلّ على أن هذا المخلوق شيء عظيم وفيه تنبيه العباد إليه، {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} إذا أريد بالإنسان هنا مطلق الإنسان يعني جنس الإنسان

فيدخل فيه المؤمن، والمؤمن موحد ومآله إلى الجنة حينئذ يكون قوله: {لَفِي خُسْرٍ} المراد به من وجهٍ دون وجه، وقيل: جنس الناس {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} يعني علموا أولاً وهذا هو دليل المسألة الأولى، لأن الإيمان مبناه على العلم والعمل، فالإيمان الشرعي مبني على ثلاثة أركان على جهة التفصيل، اعتقاداً بالقلب وقولاً باللسان وعمل بالجوارح والأركان. وهذه أركان ثلاثة لا يتحقق الإيمان الشرعي إلا باجتماعها، وكل منها الأنواع الثلاث كل منها ما يزول الإيمان بزواله، ومنها ما لا يزول الإيمان بزواله، فالاعتقاد الذي محله القلب معرفة الله تعالى. منها ما يزول الإيمان بزواله يعني: إذا لم توجد هذه المعرفة أو هذا الاعتقاد زال الإيمان.

ومنها ما لا يزول الإيمان بزواله، وكذلك القول في القول قول اللسان منها ما لا يزول الإيمان بزواله، ومنها ما يزول الإيمان بزواله، وكذلك عمل الظاهر المراد به عمل الجوارح والأركان قد يزول الإيمان بزوال هذا بعضها، وقد لا يزول.

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} الأعمال الصالحات، وهنا آخر العمل عن العلم لأنه فرع وثمرة له، وداخل في مسمى الإيمان بإجماع أهل السنة والجماعة، {تَوَاصَوْا} تفاعل يعني أوصى بعضهم بعضاً بالحق يعني أوصى بعضهم بعضاً بالحق، وقد فسر الحق هنا بالتوحيد، وقيل: القرآن، وقيل: إتباع الرسول، وكلها معاني واحدة {بِالصَّبْرِ} يعني أوصى بعضهم بعضاً بالصبر، والصبر هنا محلى بأل فيعم جميع أنواع الصبر.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم. وقال البخاري، رحمه الله تعالى: باب العلم قبل القول والعمل.

الشافعي هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الهاشمي القرشي. قال رحمه الله تعالى: (لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ لَكَفَتْهُمْ). أورد الحافظ ابن كثير هذا القول للشافعي، لكن بصيغة أخرى: لو تدبر الناس هذه الصورة لوسعتهم.

(لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)، (إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ) مع اختصارها وغاية اختصارها (لَكَفَتْهُمْ) لجمعها الخير بحذافيره، وتضمنت جميع مراتب الكمال الإنساني، فبين الله عز وجل في هذه السورة الكريمة المنهاج العام الذي ينبغي أن يسير عليه المسلم وهو الجمع بين هذه

الأربعة: أن يكمل نفسه بالإيمان والعمل الصالح، وأن يكمل غيره بالدعوة إلى الله تعالى بما علم وعمل، وأن يصبر على ما يلاقه في سبيل الله تعالى.

(وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى) في صحيحه في كتاب العلم: بَابُ (الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ)، بمعنى أنه لا يتقرب المكلف إلى ربه جل وعلا بقول أو بعمل إلا بعد أن يثبت عنده ذلك الأمر، بأن الله تعالى أوجبه أو استحبه.

والدليل قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}. محمد آية: 19.

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

والترتيب هنا مراد فدل على أن الثاني مرتب على الأول.

({فَاعْلَمْ}) هذا خطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم -، والخطاب للنبي خطاب لأئمة، أليس كذلك؟

وما به قد خطب النبي ... تعميمه في المذهب السني

ولذلك قال الله تعالى: مخاطباً نبيه عليه الصلاة والسلام {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ} [الطلاق: 1] ثم

قال: {إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ}، {إِذَا طَلَّقْتُمُ} مخاطب بالجمع

كذلك في قوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ} [التحريم: 1] إلى أن قال: {قَدْ فَرَضَ

اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ} [التحريم: 2]

({لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}) لا معبود بحق إلا الله عز وجل، ({وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ})، ({وَاسْتَغْفِرْ}) هذا

أمر بالاستغفار، وهو نوع من أنواع العمل.

نص البخاري: بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لقول الله تعالى: ({فَاعْلَمْ}) الآية. في الآية

دليل على فضل العلم، سئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال: ألم تسمع قول الله

تعالى حين بدأ به فقال: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} ثم أمره بالعمل بعد ذلك. فقال:

{وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} وفيه دليل على ما أراده المصنف، وهو أن العلم مقدم على العمل، فدل

على أن مرتبة العلم مقدمة على مرتبة العمل، وأن العلم شرط في صحة العمل.

بل نص ابن القيم رحمه الله تعالى على أن من فضائل العلم [أن هذين الشرطين

موقوفين] على العلم لأن الإخلاص لا يمكن معرفته إلا بالعلم، وكذلك المتابعة لا يمكن

معرفتها إلا بالعلم، وأن العلم شرط في صحة القول والعمل، ولا يعتبران إلا به لأنه مصحح

للنية المصححة للعمل. انتهت المحاضرة الأولى في العقيدة: الأصول الثلاثة